مَشْهَدُ الْوَدَاعِ شِعْراً وَنَقْداً

د. مُحَمَّد مُوسَى الْبَلُولَة الزَّيْن*[1]

المستخلص

عنوان هذه الدراسة:(مشهد الوداع شعراً ونقداً)، وتهدف إلى إبراز هذا الجانب الإنساني، والتأسيس له ليصبح معنىً شعرياً يُضَاف إلى أبواب الشعر ومعانيه، فضلاً عن إعادة الرؤية إلى معاني الشعر من منظور معاصر لا ينفصل عن سياقه التقليدي.

أما خطة هذه الدراسة فجاءت في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، اتَّبعنا فيها المنهج الوصفي التحليلي، ولما كان الموضوع أكثر ارتباطاً بالجانب الذاتي، استخدمنا التحليل النفسي بالقدر الذي يتحمله النص حتى لا تخرج الدراسة عن إطارها الأدبي.

وفي الخاتمة تناولنا خطة البحث تناولاً مبسطاً، وذكرنا أبرز النتائج التي توصل إليها وهي:

- إن مشهد الوداع قد تطور وفقاً للتطورات التي عاشها الإنسان العربي في كل عصر.
- مشهد الوداع في العصور القديمة يأتي عرَضاً ومندساً في أغراض الشعر المتعارف عليها وفي أبيات قليلة، أما في عصر الدول المتتابعة وعصر النهضة فبدأ يأتي مستقلاً و في قصيدة كاملة يحمل عنوانها اسم الوداع أو معناه.
- إن شعر الوداع في كل العصور، يشكِّل مادة تسترعي الانتباه، وتحتاج إلى رؤية نقدية تؤسِّس لهذا الغرض الإنساني، وتضيف معنىً جديداً إلى معاني الأدب العربي.
- لمشهد الوداع صورة نفسية شديدة الأثر على الطرفين، نجدها في الحزن والقلق والخوف والارتباك والتشاؤم في لحظة الوداع. وله صورة حسية مشاهدة تتمثل في علامات الحزن في وقفة المودعين ووجوههم، وإشارات الوداع: التلويح باليد وبالأصابع، ولغة العيون. وتتمثل أيضاً في لقاء الوداع والعناق

[1]– أستاذ مساعد الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، جَامِعَةُ الجَوْفِ.

عند المحبين.

- أمل العودة والتعهد بحفظ الود عند الطرفين يشكلان حب الحياة والتمسك بأسبابها على الرغم من حتمية الفراق وضرورته، والتوسل والرجاء عند الطرفين.
- مشهد وداع الشاعر لوطنه أو مدينته أو قريته يؤكد قوة ارتباطه الوجداني بالمكان الذي نشأ وترعرع فيه وسط أهله وأقرانه وأصحابه، أو له فيه وثاق روحي، أو له فيه من المواقف ما يستحق التألم عند فراقه.

Abstract

This study aims at identifying The Farewell Scene Poetically and Critically.It aims to feature out this humanitarian side, and establishes for it

to become a poetic meaning added to the topics of the Arabic poetry and its meanings, as well as reconsidering the meanings of the Arabic poetry from a contemporary perspective that is inseparable from its traditional context.

Yet, the plan of this study comes in an introduction, three chapters and a conclusion. The researcher uses the descriptive analytical approach. Whereas the subject of the study is more closely related to the personal side, the researcher uses the psychoanalysis method in as much as it becomes compatible with the text so that it does not go beyond its literary framework.

In the conclusion, the researcher dealt with the research plan in a simple way, and he highlighted the findings as follows:

- The farewell scene has evolved according to the developments experienced by Arab people in every epoch.
- The farewell scene in ancient times comes inessential and hidden in the well-known poetry purposes and in few verses, but in the sequential states' epoch (era of degradation), and the Renaissance comes independent as a complete poem entitled (the farewell) or has the meaning of it.
- The farewell poetry in all epochs has formed a phenomenon that aroused the attention. This needs a critical vision that can set up for this humanitarian purpose and adds a new meaning to these already established in the Arabic literature.
- The farewell scene has a psychological image that has a severe impress on both parties. That can be found in sadness, anxiety, fear, confusion and pessimism at the moment of the farewell.
- The farewell scene has a sensual image characterized in the farewell signals such as, waving of the hands and fingers, the language of eyes. It is also characterized in the farewell meeting, the hugging and in the farewell kiss of lovers.
- On despite of the inevitability and necessity of separation in the same time with supplication and hopefulness, hoping to return and pledging to keep cordiality, makes love of life and sticking to its reasons in both parties.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

أجمعين.

أما بعد:

فموضوع هذه البحث (مشهد الوداع شعراً ونقداً)،وظاهرة الوداع من الدوافع الفطرية المرتبطة بالوجود الإنساني أينما وُجِد، وفي كل الأزمان، ولا يدرك البعد الوجداني لهذه الظاهرة وقوة اتِّصالها بالنفس الإنسانية، إلا مَن عاشها، وقُدِّر لنا أن نعيشها، مما شدَّنا لدراستها متَّخذين الشعر العربي مطية لسبر أغوارها، واقتصر تناولنا لمشهد الوداع على وداع المكان ووداع الإنسان، وأما وداع الأموات فلم نتعرض له، لأنه من باب الرثاء.

وفي هذا المجال بحثنا عن العراقة والأصالة لمشهد الوداع في التراث الأدبي، فوجدناه ظاهراً في أغلب الأغراض الشعرية التي طرقها الأقدمون، إلا أن النقاد القُدَامَى لم يهتموا بهذا الموضوع قدر اهتمامهم بالأغراض التقليدية، كالمدح والرثاء والهجاء والغزل، وغير ذلك، وقلَّما أولوا عنايةً لهذا النوع من الشعر، الذي يصوِّر الجانب الوجداني من تجربة الشاعر الذاتية. ومن هنا جاءت مشكلة هذا البحث في سؤال: هل مشهد الوداع موجود في الشعر العربي على مر العصور وإلى عصر النهضة؟ وتتفرَّع من هذا السؤال . أساس البحث . الأسئلة الآتية:

هل يُعدُّ الوداع من المعاني التي يجب أن تضاف إلى أبواب الشعر؟

وهل أفرد الشعراء قصائد كاملة تتحدث عن الوداع أم أن معنى الوداع قد أتى عرضاً من خلال بعض الأغراض الرئيسة التي رسخها النقاد القدامى؟

ودراسة مشهد الوداع في الشعر العربي تهدف إلى إبراز هذا الجانب الإنساني، والتأسيس له ليصبح معنىً شعرياً يُضَاف إلى أبواب الشعر ومعانيه، فضلاً عن إعادة الرؤية إلى معاني الشعر من منظور معاصر لا ينفصل عن سياقه التقليدي.

ومما يحفزنا ويعزز هذا الموقف، أن الناقد الأندلسي حازم القرطاجني هو الذي أدرج موضوع الاغتراب في باب الأغراض الشاجية، والتي تأتي عنده في المرتبة الأولى من الشعر، ومشهد الوداع هو بداية الاغتراب والفراق، وهذا ما جعلنا نهتم بهذا البحث؛ لنؤكد أن مشهد الوداع يعد من هذه الأغراض الشاجية.

ومما دفعنا لاختيار هذا الموضوع، خصوبة المادة الشعرية، مما يجعلها جديرة بالدراسة، بالإضافة إلى عدم وجود دراسة مستقلة أو كتاب . وفق سعيي . تناول مشهد الوداع في الشعر العربي، غير أن هناك كتاباً عنوانه (اعتلال القلوب) للخرائطي، صدر عن دار الفكر اللبناني عام 2003م، تناول فيه المؤلف باباً عنوانه "الجزع ورقة الشكوى لفرقة الأحباب"، واكتفى فيه بعرض النماذج الشعرية لشعراء عصره، ولم يتطرق لمشهد الوداع بشكل مباشر في شعر كل العصور المختلفة، ولم يتناوله من جانب نقدي ليبين مكانته في أبواب الشعر. إلا أننا في بحثنا هذا حاولنا أن نغطي كل الجوانب التي أغفلها المؤلف.

أما خطة هذه الدراسة فجاءت في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، اتَّبعنا فيها المنهج الوصفي التحليلي، ولما كان الموضوع أكثر ارتباطاً بالجانب الذاتي، استخدمنا التحليل النفسي بالقدر الذي يتحمله النص حتى لا تخرج الدراسة عن إطارها الأدبي.

وتناولنا في المبحث الأول لهذا البحث : (مشهد الوداع لغةً واصطلاحاً). وجاء المبحث الثاني لهذه الدراسة بعنوان: (مشهد الوداع في الشعر العربي)، وتناولنا فيه مشهد الوداع في الشعر الجاهلي، ومشهد الوداع في شعر العصر الإسلامي. ومشهد الوداع في الشعر العباسي، ومشهد الوداع في الشعر الأندلس، ومشهد الوداع في شعر الدول المتتابعة. ومشهد الوداع في شعر النهضة الحديثة.

وكان المبحث الثالث بعنوان: (مشهد الوداع في النقد الأدبي عند العرب).وأعقبنا هذه المباحث الثلاثة بخاتمة استعرضنا فيها خطة الدراسة استعراضاً مبسطاً، ثم لخصنا فيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات، وأردفنا ذلك بقائمة للمصادر والمراجع.

واعتمدنا في إعداد هذا البحث على مجموعة من المصادر ، نذكر منها: "ديوانامرؤ القيس" و"ديوان النابغة الذبياني" و"ديوان قيس بن ذريح"، و"ديوان جميل بثينة"، و"ديوان الشريف الرضي"، و"ديوان أبي فراس الحمداني"، و"ديوان المتنبي"، و"سقط الزند لأبي العلاء المعري، و"ديوان ابن زيدون"، و"ديوان ابن دراج القسطلي"، و"ديوان

بهاء الدين زهير"، و"ديوان عبد الرحيم أبي أحمد البرعي اليمني"، و"ديوان إبراهيم ناجي"، و"ديوان معروف الرصافي"، و"ديوان إيليا أبو ماضي، و" ديوان مطلع الشتاء لإلياس فرحات".

وحسبنا في ذلك أننا قد بذلنا ما بوسعنا من جهد، لا نزعم أننا قد بلغنا فيه مرحلة الكمال، فالكمال لله وحده، إلا أننا نأمل في أن نكون قد حققنا أهداف هذا البحث.

المبحث الأول: مشهد الوداع لغةً واصطلاحاً

"المشهد" لغةً من "شَهِدَ"، وشهد المجلس: حضره وكان متواجداً فيه[2]، وشَهِدَهُ أي حضره[3]، والمَشْهَدُ يعني: المجمع من الناس، محضر الناس[4]، الحضور، ما يُشَاهَدُ، المجتمع من الناس، الضريح،[5]مكان استشهاد الشهيد[6]، والمَشْهَدُ أيضاً بمعنى اسم مكان، منظر، مرأى[7]. وعند رجب عبد الجواد المشهد يعني: المحضر[8]. والجمع مَشَاهِدُ[9].

و"المَشْهَدَةُ" تعني: محضر الناس[10]، و"المُشَاهِدُ" اسم فاعل بمعنى: الناظر، أي كان حاضراً وناظراً، و"مُشَاهِدُ" التلفزة: المتفرّج، و"المُشَاهَدُ" اسم مفعول من "شَاهَدَ"، وهو ما يُرَى من بعيد[11]، و"المُشَاهَدَةُ" تعني المعاينة[12]، و"يوم مشهود": أي محضور يحضره

(2) عمر، أحمد مختار(2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج2، ط1 دار الكتب، القاهرة، مصر، ص1240.

(3) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(1999م)، مختار الصحاح، ط مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ص306.

(4) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب(1414هـ)، ج3، ط3 دار صادر، بيروت لبنان، ص141.

(5) أنيس، إبراهيم، وآخرون(2004م)، المعجم الوسيط، ط4 مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ص497.

(6) سعود، جبران(1992م)، معجم الرائد، ط7 دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص743.

(7) عمر، أحمد مختار(2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج2، ص1242.

(8) عبد الجواد، رجب(2002م)، معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، ط1 دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ص163.

(9) أنيس، إبراهيم، وآخرون(2004م)، المعجم الوسيط، ص497.

(10) سعود، جبران(1992م)، معجم الرائد، ص743.

(11) أبو العزم، عبد الغني(2013م)، المعجم الغني (معجم إلكتروني).

أهل السماء والأرض، ومثله صلاة الفجر ويوم القيامة ويوم الجمعة[13]، وكلمة "مشهود" في قوله تعالى[14]:﴿وشاهد ومشهود﴾ تعني: يوم القيامة، وقال الفراء: يوم الجمعة ويوم عرفة[15]، و"اليوم المَشْهُودُ" عند أحمد مختار هو: يوم يجتمع فيه الناس لأمر ذي شأن يستحق الذكر[16].

أما "الوداع" لغةً فمن "ودَّع يودِّع توديعاً، فهو مودِّع والمفعول مودَّع"، فودَّعَ فلانٌ فلانا: شيَّعَهُ عند سفره متمنياً له الدِّعَة والسلامة، ووَدَّعَ المسافرُ الناسَ: فارقهم محيياً لهم[17]، ووَدَّعَ الناسُ المسافرَ: شيَّعُوهُ مُحِبَّينَ له[18]، و"تَوَدَّعَ القومُ وتَوَادَعُوا": وَدَّعَ بعضُهم بعضا، و"التَّوْدِيعُ" عند الرحيل، ويكون للحي والميت، وقال الأزهري: والتَّوْدِيعُ، وإن كان أصله تخليفَ المسافرِ أهلَه وذَوِيه وَادِعِينَ، فإن العرب تضعه موضع التحية والسلام؛ لأنه إذا خلَّفَ دعا لهم بالسلامة والبقاء، ودعوا بمثل ذلك، وتُوُدِّعَ منهم أي سلَّمَ عليهم للتَّوْدِيعِ[19].

وكلمة "الوَدَاع" تعني: التَّرْك[20]، تَشْييع المُسُافِرِ[21]، وعند جبران سعود تعني: التَّرْك والمُفَارَقَة[22]، وأضاف أحمد مختار عمر معنى آخر وهو تبادل الأشخاص عبارات

(12) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(1999م)، مختار الصحاح، ص306.
(13) ابن منظور،جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(1414هـ)، لسان العرب، ج3، ص240.
(14) سورة البروج، الآية3.
(15) ابن منظور،جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(1414هـ)، لسان العرب، ج3، ص141.
(16) عمر، أحمد مختار(2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج2، ص1242.
(17) المرجع السابق، مج3، ص2418.
(18) أنيس، إبراهيم، وآخرون(2004م)، المعجم الوسيط، ص1021.
(19) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(1414هـ)، لسان العرب، ج8، ص385.
(20) ابن منظور،جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(1414هـ)، لسان العرب، ج8، ص384.
(21) أنيس، إبراهيم، وآخرون(2004م)، المعجم الوسيط، ص1021.
(22) سعود، جبران(2008م)، المعجم الرائد، ص859.

السلام في طريق الافتراق إلى وقت قد يكون طويلاً، ويقولون:"وداعاً": وهي عبارة مجاملة تقال عند تشييع المسافرين أو عند افتراق الأشخاص[23]، و"الوداع"عند حنا نصر الحتِّي يعني: الفراق[24].

ومن المعاني التي ارتبطت بكلمة الوداع "ثنيَّة الوداع" وهي موضع بالمدينة المنورة لأن مَن سافر إلى مكة المكرمة كان يودّع ثمَّة، ويشيّع إليها[25]. ومن المعاني التي أضيفت لكلمة الوداع نجد"حجة الوداع" و"خطبة الوداع"[26]، و"نظرة الوداع" و"حفل الوداع"[27]وإلى غير ذلك من المعاني.

أما مصطلح "مشهد الوداع" فلم نجده معرَّفاً فيما توفر لدينا من مصادر ومراجع بهذا المسمَّى المركب، فحاولنا ومن خلال معنى كلمة "مشهد" وكلمة "الوداع" في اللغة أن نستخلص مفهوماً لعلَّه يكون أقرب إلى المفهوم الذي يخدم البحث، و"مشهد الوداع" هو الصورة المنظورة المحضورة والصورة النفسية لِلَّحظة التي يُوَدِّعُ فيها المرءُ المكانَ الذي ارتبط به وأهله وأصحابه ومحبوبته وغيرهم.

ولمشهد الوداع دلالاته وآثاره، ولعاطفته النصيب الأكبر من الصدق واقعياً وفنياً، ففيها لا يرجو المبدع من المخاطب شيئاَ؛ لأنه لم يَعُد يملك القدرة على مكافأته، ومتى غابت الدوافع المادية لإبداع النصوص حضرت الدلالات الصادقة، وتجلَّت العاطفة الجياشة. والشعراء على مرِّ العصور قد صوروا لنا هذا المشهد في لوحات فنية رائعة ومؤثرة، حرَّكت مشاعر المتلقين، وتركت أثراً قوياً في نفوسهم.

---

(23) عمر، أحمد مختار(2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج3، ص2419.

(24)الحتِّي، حنا نصر(2003م)، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، ط2 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص69.

(25) أنيس، إبراهيم، وآخرون(2004م)، المعجم الوسيط، ص1021.

(26) ابن هشام،أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري(1955م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ الشلبي، ج2، ط2 شركة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ص603.

(27) عمر، أحمد مختار(2004م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج3، ص2419.

المبحث الثاني

مشهد الوداع في الشعر العربي

مشهد الوداع لحظة إنسانية ووجدانية صادقة، وانفعال عاطفي تهتز له كل الحنايا، وفيه يختلط الماضي بالحاضر، وقد يُرْتَهَنُ الغد إلى المجهول، فتزداد خفقات القلب، وتحترق الأنفاس، وتضطرب المشاعر، وقد يعجز اللسان في إبراز كل المشاعر والمعاني المكثفة في تلك اللحظة، فلا يملك المرء إزاء ذلك المشهد إلا الإيماء والتلويح والبكاء، وقد يمارس الطقوس والعادات التي تلازم تلك اللحظة كما كان يفعل الأسلاف تشبثاً بالعودة وأمل اللقاء؛ فالعرب كانت (إذا غزت وسافرت حملت معها تربة بلدها رملاً وعَفَراً تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع)[28].

ولا شك أن في فراق الديار والأهل مشقةً وعناءً وحزناً، وجهداً وبلاءً، ولذلك قرَنَ . جلَّ شأنه . ذلك بالقتل لما فيه من قسوة ومشقة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾[29]، وفي ذلك يقول الرسول . صلى الله عليه وسلم . وهو يودِّع بلده مكة المكرمة مهاجراً إلى المدينة المنورة[30]: (والله إنك لخير أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولو لا أنِّي أُخْرِجْتُ منكِ ما خرجتُ).

والمتتبع للأدب العربي في عصوره المختلفة يجد فيه فرائد شعرية، تنفرد عن غيرها بفصاحة اللفظ وبلاغة المعنى ودقة التصوير وجلال الموقف، والراصد لهذا النوع من الشعر والمتعمق فيه يجد أنه أمام شعراء كبار يفيضون رقة وعذوبة، يصوغون المواقف في عفوية صادقة وتجليات مبهرة في معاناتهم من شغف العشق، وتباريح

(28) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر(1982م)، الرسائل ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الرائد، بيروت، لبنان، ص15، 16.

(29) سورة النساء، الآية 66.

(30) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة(2000م)، سنن الترمذي، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص559.

الوجد، ومواقف الفراق، ولحظات الوداع التي لا يصوغها إلا شاعر تمرغ في جمرها واكتوى بلوعتها، وفي هذا السياق نسلط الضوء على نماذج من شعر الوداع في الشعر العربي وفي عصوره المختلفة.

أ. مشهد الوداع في الشعر الجاهلي

مشهد الوداع هو إيذان للفراق والبعد والفقد، وإدراك الأحاسيس والمشاعر والمعاني التي تساور المرء في ذلك المشهد الإنساني، ولعلَّ الشعراء هم من أكثر الناس إفصاحاً عن ذلك المشهد، علماً بأن هذا المشهد ليس بجديد في الشعر العربي فهو قديم قِدَم هذا الشعر، ولا شك أن طبيعة حياة العرب في الجاهلية فرضت عليهم الترحال بحثاً عن الماء والكلا، وما الأطلال والرسوم والمطي والأظعان والركاب والرحال والهودج ووصف الرحلات في أشعارهم إلا شاهد على تعلقهم بالمكان والإنسان في حلهم وترحالهم، وشاعرنا امرؤ القيس يتذكر يوم البين وما فيه من لوعة وحزن، يقول[31]:

كَأَنَّ غدَاةَ البَينِ يَوْمَ تَحمَّلُوا لَدَى سُمُرَاتِ الحَيّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَليَّ مَطيّهِم يَقُولُونَ لَا تَهْلَكْ أَسىً وَتَجمَّلِ

والغراب . عند العرب . نذير شؤم، فها هو يتوعَّد النابغة الذبياني برحيل المحبوبة غداً، فلم يرحب بغده المشؤوم، وكيف يرحب به فله معها عهد وموعد؟ يقول[32]:

(31) امرؤ القيس، حُندج بن حُجُر(2004م)، الديوان، ط2 دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص23، 24.

(32) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب(2005م)، الديوان، ط2 دار المعرفة، بيروت، لبان، ص38.

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ
أَفِدَ التَّرَحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لمَّا تزُلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ[33]
زَعَمَ البوارح أَنَّ رِحْلَتَنَا غَداً وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الغراب الأَسْوَدُ[34]
لَا مَرْحَباً بِغَدٍ وَلَا أَهْلاً بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقَ الأَحِبَّةِ فِي غَدِ
حَانَ الرَّحِيلُ فَلَمْ تُوَدِّعْ مَهْدداً وَالصُّبْحُ وَالإِمْسَاءِ فِيهَا مَوْعِدِي[35]
فِي إِثْرِ غَانِيَةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَقْصُدِ[36]

وبكاء القرين عند زهير بن أبي سلمى سنة عند كل حيٍّ، فالوداع عند الفراق يقدم عليه الطرفان وهما على كره، يذرفان الدموع بكاءً تجن له القلوب، إلا أنهما للمودة والعهد حافظَيْنِ، يقول[37]:

جَرَى دَمْعِي فَهَيَّجَ لِي شُجُوناً فَقَلْبِي يَسْتَجِنُّ لَهُ جُنُونَا
أَأَبْكِي لِلْفِرَاقِ وَكُلُّ حَيٍّ سَيَبْكِي حيْنَ يَفْتَقِدُ القَرِينَا
فَإِن تُصْبِح ظَلِيمَةُ فَارَقَتْنِي بِبَينٍ فَالرَّزِينَةُ أَنْ تَبِينَا
فَقَدْ بَانَتْ بِكُرْهٍ يَوْمَ بَانَتْ مُفَارِقَةً وَكُنْتُ بِهَا ضَنِينَا

وليوم الوداع عند المحبين ذكرى مخيفة ومبكية ومسهدة، تزيد القلوب حزناً ولوعة، يقول عنترة متذكراً يوم وداعه لعبلة[38]:

أَحْرَقَتْنِي نَارُ الجَوَى وَالبعَادِ بَعْدَ فَقْدِ الأَوْطَانِ وَالأَوْلَادِ
شَابَ رَأْسِي فَصَارَ أَبْيَضَ لَوْناً بَعْدَ مَا كَانَ حَالِكاً بِالسَّوَادِ

(33) أَفد: اقترب. انظر: المصدر السابق، ص 38.
(34) الغداف الأسود: الغراب الأسود. انظر: المصدر نفسه، ص38.
(35) مهدد: اسم جارية. انظر: نفسه، ص38.
(36) الغانية: الفتاة التي تستغني بجمالها عن الزينة. انظر: المصدر نفسه، ص 38.
(37) زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث(2005م)، الديوان، ط2 دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص74.
(38) الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني (1992م)، شرح ديوان عنترة، ط1 دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص44.

وَتَذَكَّرْتُ عَبْلَةَ يَوْمَ جَاءَتْ لِوَدَاعِي وَالهَمُّ وَالوَجْدُ بَادِي
وَهيَ تُذْرِي مِنْ خِيفَةِ البُعْدِ دَمْعاً مُسْتهِلاًّ بِلَوْعَةٍ وَسُهَادِ
قُلْتُ كُفِّي الدُّمُوعَ عَنْكِ فَقَلْبِي ذَابَ حُزْناً وَلَوْعَتِي فِي ازدِيَادِ
وَيْحَ هَذَا الزَّمَان كَيْفَ رَمَانِي بِسِهَامٍ أَصَابَتْ صَمِيمَ فُؤَادِي
غَيْرَ أَنِّي مِثْلُ الحُسَامِ إِذَا مَا زَادَ صقْلاً يَزِيدُ يَوْمَ جلَادِ

وكثيراً ما يفضح هذا المشهد مشاعر المحبين، فتساؤل شاعرنا الأعشى ميمون بن قيس، وهو يودِّع هريرة قبل رحيل ركبها، يوضح ذلك، يقول[39]:

وَدِّعْ هُرَيرَةَ إِنَّ الرَّكبَ مُرتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ؟

وهذا قيس بن منقذ بن المعروف بابن الحدادية يحذر من وقوع البين، ويصور لنا مشهد الوداع، البكاء والدموع ، ولوعة السؤال عن عودة المحبوب، وإشارات الوداع، ولحظة التجلي التي ينبعث منها الإيمان العميق بقدر الله ، والالتزام بعهد الود، والتشبث بأمل العودة، يقول[40]:

بَكَى مِن فِرَاقِ الحَيّ قَيْسُ بن مُنْقِذ وَإِذْرَاءُ عَيْنِي مِثْلُهُ الدَّمْعُ شَائِعُ
بِأَرْبَعَةٍ تَنْهَل لمَاً تَقَدَّمَتْ بِهِم طُرُقٌ شَتَّى وَهُنَّ جَوَامِعُ
وَمَا خلْتُ بَيْنَ الحَيّ حَتَّى رَأَيْتُهُم بِبَينُونه السُّفْلَى وَهَبَّتْ سَوَافِعُ
كَأَنَّ فُؤَادِي بَيْنَ شقَّينِ مِنْ عَصَا حِذَارِ وُقُوعَ البَيْنِ وَالبَيْنُ وَاقِعُ
يَحثُّ بِهِم حَادٍ سَرِيعٌ نجَاؤُهُ وَمُعرَى عَنِ السَّاقَيْنِ وَالثَّوْبُ وَاسِعُ
فَقُلْتُ لَهَا: يَا نُعْمُ حُلِّي مَحلَّنَا فَإِنَّ الهَوَى يَا نُعْمُ وَالعَيْشُ جَامِعُ

(39) الشنقيطي، أحمد بن الأمين(2002م)، شرح المعلقات العشر، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص139.

(40) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد(2008م)، الأغاني، تحقيق: د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين وأ. بكري عباس، ط8 دار صادر، بيروت، لبنان، ص100، 101.

فَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً: بِأَهْلِي بَيِّنْ لِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
فَقُلْتُ لَهَا: تَاللهِ يَدْرِي مُسَافِرٌ إِذَا أَضْمَرَتْهُ الأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعُ
فَشَدَّتْ عَلَى فِيهَا اللِّثَامَ وَأَعْرَضَتْ وَأَمْعَنَ بِالكُحْلِ السَّحِيقِ المدَامِعُ
وَإِنِّي لعَهْدِ الوُدِّ رَاعٍ وَإِنَّنِي بِوَصْلِكِ مَا لمْ يَطْوِنِي المَوْتُ طَامِعُ

ومما سبق يتضح أن مشهد الوداع في الشعر الجاهلي يأتي عرضاً وفي أبيات محدودة مندسة في بعض أغراض الشعر المعروفة كالغزل والوصف وغيرهما، ويودع الشعراء الأهل والأصحاب والمحبوبة، ولحظة الوداع هي البكاء والحزن والتشاؤم، وفيها تلوّح المحبوبة بيدها وأصابعها ونظراتها وهي تفارق محبوبها، وفيها يتعهد الطرفان بحفظ الود وكلهما أمل بالعودة.

ب . مشهد الوداع في شعر العصر الإسلامي:

ونقصد بالعصر الإسلامي، صدر الإسلام والعصر الأموي. أما العرب في صدر الإسلام فكانوا يتنقلون من مكان لآخر، إمَّا بسبب الهجرة أو العيش أو التجارة، مما يؤكد أن طبيعة عيشهم لا تختلف كثيراً عن الجاهليين، وفي العصر الأموي زادت الفتوحات من تنقلهم وترحالهم، فلذلك نجد أن فراق الأهل والصحب والوطن كان غصةً في حلق الشعراء، وألماً شديداً يعانون منه، والفراق عليهم صعب دونه الموت، فهم يذرفون الدمع السخي عند الوداع، يقول قيس لبنى[41]:

وَإِنِّي لمُفْنٍ دَمْعَ عَيْنِي مِنَ البُكَا حذَارَ الَّذي لَمَّا يَكُنْ وَهوَ كَائِنُ
وَقَالُوا: غَداً أَوْ بَعْدَ ذَاكَ بِلَيْلَةٍ فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبِنْ وَهوَ بَائِنُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي بكَفَيكَ إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَائِنُ

(41) ابن ذريح، قيس(2004م)، الديوان، ط2 دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص113.

وعروة بن أذينة . في أبيات نسبت إليه . يتجلد عند وداعه لآل بشر، وهوادجهم معدَّة، وهم على وشك الرحيل، إلا أن عبرة سالت فزادته إشفاقاً على نفسه وعلى المحبوبة المودِّعة، يقول[42]:

حَلَلْنَا آمِنِينَ بِخَيْرِ عَيْشٍ ... وَلَمْ يَشْعُرْ بِنَا وَاشٍ يَكِيدُ
وَلَمْ نَشْعُرْ بِجِدِّ البَيْنِ حَتَّى ... أَجَدَّ البَيْنَ سَيَّارٌ عَنُودُ
وَحَتَّى قِيلَ قوَّضَ آلُ بِشْرٍ ... وَجَاءَهُم بِبَيْنِهِمُ البَرِيدُ
وَأَبْرزَتِ الهَوَادِجُ نَاعِمَاتٍ ... عَلَيْهِنَّ المَجَاسِدُ وَالعُقُودُ
فَلمَّا وَدَّعُوْنَا وَاسْتَقَلَّتْ ... بِهِمْ قُلُصٌ هَوَادِيهُنَّ قُوْدُ
كَتَمت عَوَاذِلِي مَا فِي فُؤَادِي ... وَقُلْتُ لَهُنَّ لَيْتَهُمُ بَعِيدُ
فَجَالَتْ عَبْرَةٌ أَشْفَقْتُ مِنْهَا ... تَسِيلُ كَأَنَّ وَابِلَهَا فَرِيدُ

ومن المشاهد المؤثرة، مشهد توديع البنت لأبيها المغترب، وخوفها من المصير المجهول، وبقائها وحيدة غريبة عاجزة مع أخوة صغار قاصرين يتوقون لحنوه، فالبنت تتعلق بأبيها وتحذره باكية من مغبة الرحيل، ويقوم بينهما حوار مؤثر تحاول أن تقنعه بالعدول عن الرحيل وأنهم يرضون بالرزق القليل، ولكن الأب عازم على الرحيل، ويحاول أن يصبرها بالخضوع للقدر المحتوم، وهذه المشاهد يصوره حاجب الفيل في قصيدته "الوداع الأليم"43:

لمَّا رَأَتْ بِنْتِي بِأَنِّي مُزْمِعٌ ... بِتَرَحُّلٍ مِنْ أَرْضِهَا فَمُوَدِّعُ
وَرَأَتء رِكَابِي قُرِّبَتْ لِرِحَالِهَا ... قَالَتْ وغَرْبُ العَيْنِ مِنْهَا يَدْمعُ
أَبَتَا أَتَتْرُكُنَا وَتَذْهَبُ تَائِهاً ... فِي الأَرْضِ تَخْفِضُكَ البِلَادُ وَترْفَعُ
فَيَضِيْعُ صِبْيَتُكَ الَّذِينَ تَرَكْتَهُم ... بِمُضِيْمَةٍ فِي المِصْرِ لَمْ يَتَرَعْرَعُوا
فِيْهِم صَغِيرٌ لَيْسَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ ... وَصَغِيْرَةٌ تَبْكِي وَطِفْلٌ يَرْضَعُ

(42) الجبوري، يحيى(1981م)، شعر عروة بن أذينة، ط2 دار القلم، الكويت، ص414،413.
(43) السويدي، فاطمة محمد(1997م)، الاغتراب في الشعر الأموي، ط مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ص36.

إِنَّا سَنَرْضَى مَا أَقَمْتَ بِعَيْشِنَا ... مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ نَجُوعُ وَنَشْبَعُ
واللهُ يَرْزِقُنَا فَنَرْضَى رِزْقَهُ ... وَكَفَى بِحُسْنِ مَعِيْشَةٍ مَن يَقْنَعُ
إِذَا مَا غِبْتَ عَنَّا لَمْ نَجِدْ ... ممَّا تَخَلَّفَ عِنْدَنَا مَا يَنْفَعُ
تَجْفُو مَوَالِينَا وَيَعْرِضُ جَارُنَا ... وَقَرِيبُنَا الأَدْنَى يَعِزُّ وَيَقْطَعُ
وَنَخَافُ أَنْ نَلْقَاكَ وَشْكَ مَنِيَّةٍ ... فَيُصِيبُنَا الأَمْرُ الجَلِيلُ الْمُفْظِعُ
فَنَصِيرُ بَعْدَكَ لَيْسَ يَرْفَعُ بَيْنَنَا ... وَيَذِلُّنَا أَعْدَاؤُنَا ونُضَيَّعُ
هَذا الرَّحِيلُ وَأَمْرُنَا مَا قَدْ تَرَى ... فَمَتَى تَؤُوبُ إِلَى الصِّغَارِ وَتَرْجِعُ
فَخُنِقْتُ مِن قَوْلِ الصِّغَارِ بِعَبْرَةٍ ... كَادَ الفُؤَادُ لِقَوْلِهِمْ يَتَصَدَّعُ
وَأَجَبْتُهَا: صَبْراً بُنَيَّةُ وَاعلَمِي ... أَنْ لَيْسَ يَعْدُو يَوْمَهُ مَنْ يَجْزَعُ

والشاعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يحن إلى وطنه الحجاز ويهم بالعودة إليه، ولكن حبيبته تتوسل إليه عند الوداع وتذرف الدمع تعلقاً به ليبقى في مصر، وتحبب إليه مصر ليقيم فيها، لعله ينسى الحجاز وأهله، فيقول واصفاً حالها[44]:

قَالَتْ وَمَاءُ العَيْنِ يَغْسِلُ كُحْلَهَا ... عِنْدَ الفِرَاقِ بِمُسْتَهلٍّ يَسْجُمُ
يَا لَيْتَ أَنَّكَ يَا سَعِيدُ بِأَرْضِنَا ... تُلْقِي المرَاسِي ثَاوِياً وتُخَيِّمُ
فتُصِيبُ لَذَّةَ عَيْشِنَا وَرَخَاءَهُ ... فَنَكُونُ أَجْوَاراً فَمَاذَا تنقِمُ
لَا تَرْجِعَنَّ إِلَى الحِجَازِ فَإِنَّهُ ... بَلَدٌ بِهِ عَيْشُ الكَرِيمِ مُذَمَّمُ

والشريف الرضي بعد زيارته المدينة المنورة يقف طويلاً على راحلته مودعاً آثارها وساكنيها، حتى همَّ الركب بعذله، وتلفتت عيناه وهو يغادرها إلى أن تلفت القلب بعد اختفاء معالمها حزناً على فراقها، يقول [45]:

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمُ ... وَطُلُولُها بِيَدِ البِلَى نَهْبُ
فَوَقَفْتُ حتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ ... نِضْوِي وَلَجَّ بِعَذلِي الرَّكْبُ

(44) أبو الفرج الأصفهاني(1992م)، علي بن الحسين بن محمد، الأغاني، ج8، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص283.

(45) الشريف الرضي،أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى(1310هـ)، الديوان، ج1، ط مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ص145.

وَتَلَفَّتَتْ عَينِي فَمُذْ خَفِيَتْ عَنِّي الطُّلُولُ تَلَفَّتَ القَلْبُ

وفي لحظة الوداع وعلى الرغم من قساوتها يزداد المحبُّون تمسكاً بعهودهم وحفظاً لأسرارهم، وكلهم أمل في أن تعود المياه إلى مجاريها، يقول جميل بثينة[46]:

وَآخِرُ عَهْدٍ لِي بِهَا يَوْمَ وَدَّعَتْ وَلَاحَ لَهَا خَدٌّ مَلِيحٌ وَمَحْجِرِ

عَشِيَّةَ قَالَتْ: لِا تُضَيِّعَنَّ سِرَّنَا إِذَا غِبْتَ عَنَّا وَارْعِهِ حِيْنَ تُدْبِرِ

والفراق به القلوب تتصدع، ويوم الوداع تجود عيون المحبين بدموعها حزناً على فقدها للألفة واللقاء، يقول شاعرنا جميل بثينة[47]:

لمَّا دَنَا البَيْنُ بَيْنُ الحَيّ وَاقْتَسَمُوا حَبْلَ النَّوَى فَهوَ فِي أَيْدِيهِمُ قِطَعُ

جَادَتْ بِأَدْمُعِهَا لَيْلَى وَأَعْجَلَنِي وَشِكُ الفِرَاقِ فَمَا أُبْقِي وَمَا أَدَعُ

عَلَّقْتنِي بِهَوى مُرْدٍ فَقَدْ جَعَلَتْ مِنَ الفِرَاقِ حصَاةُ القَلْبِ تَنْصَدِعُ

الأبيات السابقة تصور وداع المكان والأهل، ووداع البنت لأبيها، ووداع المحبوبة، ولا يختلف شعراء هذا العصر عن الجاهليين في حزنهم وبكائهم وتشاؤمهم من لحظة الوداع، وأيضاً في إشارات الوداع وتعهد المحبين بحفظ الود، وتمسكهما بأمل العودة.

ج . مشهد الوداع في الشعر العباسي:

امتاز العصر العباسي عن غيره من العصور بالرخاء والاستقرار، إلا أنه لا يخلو من حياة البادية، ومن الغارات وبعض الفتوحات والأسفار، فنجد أبا فراس الحمداني يشبه لحظة الوداع بأُفُول البدور، فبكته المحبوبة المودِّعة بدموعها وحدَّثته عيونها ولوَّحت له بأصابعها[48]:

(46) جميل بثينة، جميل بن عبد الله بن معمر العذري(1982م)،الديوان، ط دار بيروت، بيروت، لبنان، ص 27.

(47)جميل بثينة، جميل بن عبد الله بن معمر العذري(1982م)، الديوان، ص72.

(48) الحمداني، أبو فراس الحمداني(2007م)، الديوان، شرح : د. خليل الدويهي، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 212

وَإِنْ أَفَلَتْ تِلْكَ البُدُورُ عَشِيَّةً فَإِنَّ نُحُوسِي بِالفِرَاقِ طَوَالِعُ
وَلما وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ غَدِيَّةً أَشَارَتْ إِلَيْنَا أَعْيُنٌ وَأَصَابِعُ
وَقَالَتْ: أَتَنْسَي العَهْدَ بِالجِزْعِ وَاللِّوَى وَمَا ضَمَّهُ مِنَّا النَّقَا وَالأَجَارِعُ[49]
وَأَجْرَتْ دُمُوعاً مِنْ جُفُونٍ لِحَاظِهَا شِفَارٌ عَلَى قَلْبِ المُحِبِّ قَوَاطِعُ[50]

والحبيب المودَّع في جملة مَن ودَّعوا شاعرنا المتنبي من الظاعنين قد أشار إليه بالسلام فجاد عليه بروحه ودموعه، وقلبه على جمر شديد التوقد من الهوى في توديعه وفراقه، وقال في مطلع قصيدته التي يمدح فيها علي بن أحمد الطائي[51]:

حُشاشةُ نَفسٍ وَدّعتْ يوْمَ وَدّعوا فَلَمْ أدرِ أيّ الظّاعِنَينِ أُشَيّعُ
أشاروا بتَسْليمٍ فَجُدْنَا بأنْفُسٍ تَسيلُ مِنَ الآماقِ وَالسَّمُّ أدْمُعُ
حَشَايَ على جَمْرٍ ذَكيٍّ مِنَ الهَوَى وَعَيْنايَ في رَوْضٍ مِنَ الحُسْنِ تَرْتَعُ
وَلَوْ حُمّلَتْ صُمُّ الجِبالِ الذي بِنَا غداةَ افترَقْنا أوْشكَتْ تَتَصَدّعُ
بمَا بينَ جَنبيّ التي خاضَ طيْفُها إليّ الدّياجي وَالخَلِيّونَ هُجّعُ
أتَتْ زائِراً ما خامَرَ الطّيبُ ثَوْبَها وكالمِسْكِ مِن أرْدانِها يَتَضَوّعُ
فما جلَسَتْ حتى انثَنَتْ توسعُ الخُطى كَفاطِمَةٍ عن دَرّها قَبلَ تُرْضِعُ
فَشَرّدَ إعظامي لَها ما أتَى بهَا مِنَ النّوْمِ والْتَاعَ الفُؤادُ المُفَجَّعُ
فَيَا لَيْلَةً ما كانَ أطْوَلَ بِتُّهَا وَسُمُّ الأفاعي عَذْبُ ما أتَجَرّعُ
تذلّلْ لها وَاخضَعْ على القُرْبِ وَالنَّوَى فَما عاشِقٌ مَن لا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ

ولما ودَّع أبو العلاء المعري بغداد وأهلها قال وزفرات اللذع تؤلم حشاه[52]:

أُوَدِّعُكُم يَا أَهْلَ بَغْدَادَ وَالحَشَا عَلَى زَفَرَاتٍ مَا يَنِينَ مِنَ اللَّذْعِ

(49) الجزع واللِّوَى والأجارع: أسماء مواضع. النَّقَا: ما استدار من الرمل. انظر: المصدر السابق، ص 212.
(50) لحاظها: عيونها. شِفَار: رماح. انظر: المصدر نفسه، ص212.
(51) المتنبي،أحمدُ بن الحسين(1983م)، الديوان، ط دار بيروت، لبنان، ص30، 31.
(52) المعري، أبو العلاء(1957م)، سقط الزند، ط دار صادر ودار بيروت، بيروت، لبنان، ص236.

وَدَاعَ ضنَىً لَمْ يَسْتَقِل وَإِنَّمَا تَحَامَلَ من بَعْدِ العثَارِ عَلَى ظَلْعِ

وابن زريق الكاتب البغدادي يصور مشهد وداعه لمحبوبته، والحبيبة هي الأهل والوطن، فما أشق الفراق والحبيب يتوسل إليه باكياً متلوّعاً أن لا يغادر، ولكنْ للضرورة أحكام[53]:

أَسْتَوْدِعُ اللهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَراً بِالْكَرخِ فِي فَلَكِ الأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ
وَدَّعتُهُ وَبِوُدِّي لو يُوَدِّعُنِي صَفْوّ الحَيَاةِ وَإِنِّي لَا أُوَدِّعُهُ
كَمْ قَدْ تَشَفَّعَ بِي أَنْ لَا أُفَارِقهُ وَلِلضَّرُورَةِ حَالٌ لَا تُشَفِّعُهُ
وَكَم تَشَبَّثَ بِي خَوْفَ الفِرَاقِ ضُحىً وَأَدْمُعِي مُسْتهلَّاتٌ وَأَدْمعُهُ
لَا أُكْذِبُ اللهَ ثَوْبُ الصَّبْرِ مُنْخَرِقٌ عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لَكِنْ أُرَقِّعُهُ
إِنِّي أُوَسِّعُ عُذْرِي فِي جنَايَتِهِ بِالبَيْنِ عَنِّي وَجُرْمِي لَا يُوَسِّعُهُ

وديك الجن يصور لنا اللوعة في مشهد الوداع، حين تشكو الكبد من تفجعها، ويبعد البين ما بين الروح والجسد، وتضطرب المحبوبة وترتبك، فتشتبك يدها بمَن تحب، وسرعان ما تعض على العناب بالبرد غيظاً، وهي منصرفة حذر الواشين[54]:

وَدَّعْتُها ولَهِيبُ الشّوْقِ في كَبِدي والبَيْنُ يُبْعِدُ بينَ الرُّوحِ والجسَدِ
وَدَاعَ صَبّيْنِ لَمْ يُمْكِنْ وَدَاعهما إلاَّ بلَحْظَةِ عَيْنٍ أَوْ بَنانِ يَدِ
وَدَّعْتُها لِفِراقٍ فاشْتَكَتْ كَبِدِي إِذْ شَبّكَتْ يَدَها مِنْ لَوْعَةٍ بِيَدِي
وحاذَرَتْ أَعْيُنَ الواشِينَ فانْصَرَفَتْ تَعَضُّ مِنْ غَيْظِها العُنّابَ بالبَرَدِ
فكانَ أَوَّلُ عَهْدِ العَيْنِ يومَ نَأَتْ بالدَّمْعِ آخِرَ عَهْدِ القَلْبِ بالجَلَدِ

(53) الجبوري، يحي(2008م)، الحنين والغربة في الشعر العربي، ط1 دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ص214، 215. نقلاً عن: العاملي، بهاء الدين(د.ت)، الكشكول، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص104. 105.

(54) ديك الجن الحمصي،عبد السلام بن رغبان(2004م)، الديوان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ص118.

جَسَّ الطّبيبَ يَدي جَهْلاً فقلتُ لهُ إنَّ المَحَبّةَ في قَلْبي فَخَلِّ يَدي
ليسَ اصْفِراري لِحُمّى خامَرَتْ بَدَني لكنَّ نارَ الهوى تَلْتَاحُ في كَبِدِي
فقال: هذا سَقَامٌ لا دَواءَ لَهُ إلاَّ بِرُؤْيَةِ مَنْ تَهْواهُ يا سَنَدِي

لا شك أن الشعراء السابقين في وداعهم للمكان الذي كانوا يعيشون فيه، ووداعهم للأهل والزوجة والمحبوبة لا يختلفون عن سابقيهم في الحزن والبكاء والتشاؤم و إشارات الوداع عند المحبين، وحفظهم للود وأملهم في العودة لمن فارقوهم، بل وأن أبيات الوداع تأتي . في الغالب . من خلال قصائد الغزل والنسيب والوصف وغير ذلك من أغراضهم المتعارف عليها في عصرهم.

د . مشهد الوداع في الشعر الأندلسي:

وقبل أن نتناول مشهد الوداع فلابد أن نشير إلى أن العصر الأندلسي قد بدأ بالفتوحات الإسلامية لبلاد الأندلس عام92هـ في عهد الدولة الأموية، واستمر حكم المسلمين لها ثمانية قرون. والشعر العربي الأندلسي في أول الأمر كان يقتفي آثار الشرق وينسج على منواله في الشكل والمضمون، إلا أنه وفي الفترات اللاحقة فقد ظهرت حركة طبعها نوع من التحرر، حيث لم يعد الشعر من الناحية الموضوعية قاصراً على الأغراض والمعاني القديمة، فظهر شعر الطبيعة والخمريات وغيرهما، وظهرت الموشحات، وقد أسهم ذلك في أن يكون للشعر الأندلسي طابعه الخاص وشخصيته التي ميزته عن الشرق.

أما مشهد الوداع فلا شك أن العرب قد ودعوا الشرق في فتحهم لبلاد الأندلس، وودعوا الأندلس عندما ضعف وانهار ملكهم، فالوداع عندهم من المعاني التي نظموا فيها شعراً يعبر عن عواطفهم ووجدانهم، ففي الأندلس يتشوّق عبد الرحمن الداخل إلى معاهد الشام، وهو يودِّع الركب المتجه إليها محملاً إياه سلامه لأهله وأحبائه، يقول[55]:

(55) الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(1996م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: نذير حمدان، ج8، ط11 مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص 246.

أَيُّهَا الرَّكْبُ المُيَمِّمُ أَرْضِي اقْرِ مِنْ بَعْضِي السَّلَامَ لِبَعْضِي
إِنَّ جِسْمِي كَمَا عَلِمْتَ بِأَرْضٍ وَفُؤَادِي وَمَالِكِيهِ بِأَرْضِ
قُدِّرَ البَيْنُ بَيْنَنَا فَافْتَرَقْنَا فَطَوَى البَيْنُ عَنْ جُفُونِي غمْضِي
وَقَضَى اللهُ بِالفرَاقِ عَلَيْنَا فَعَسَى بِاجْتِمَاعِنَا سَوْفَ يَقْضِي

وللسفر علامات: تشد له الخيول الكريمة بالحبال، وتقرع له الطبول. وللوداع . عند الأندلسيين . لقاء بين المحبين، فابن زيدون ومعشوقته خفقت لهما رايات القصر عند وداعهما، فبكت عيونهما حتى تقرح مجراها فاحمرت، يقول[56]:

وَلمَّا التَقَيْنَا لِلْوَدَاعِ غدَيَّةً وَقَدْ خَفَقَتْ فِي سَاحَةِ القَصْرِ رَايَاتُ
وَقُرِّنَتْ الجُرْدُ العِتَاقُ وَصَفَّقَتْ طُبُولٌ وَلَاحَتْ لِلْفِرَاقِ عَلَامَاتُ57
بَكَيْنا دَماً حَتَّى كَأَنَّ عُيُونَنَا لجَرْيِ الدُّمُوعِ الحُمْرِ فِيهَا جِرَاحَاتُ

وابن دراج القسطلي الذي فرَّقت فتنة الخلافة شَمْلَ أسرته وأبناء وطنه، يصف مشهد وداعه لزوجته التي تطوّقه بذراعيها وهي تئن من شدة الحزن والخوف بعد فراقه، تناشده عهد المودة والهوى ليبقى إلا أن قدر الفراق منزَّل، يقول[58]:

وَلَمَّا تَدَانَتْ لِلْوَدَاعِ وَقَدْ هَفَا بِصَدرِي مِنْهَا أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
تُنَاشِدُنِي عَهْدَ المَوَدَّةِ وَالهَوَى وَفِي المَهْدِ مَبْغُومُ النِّدَاءِ صَغِيرُ
عَيِيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِطَابِ وَلَفظُهُ بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ خَبِيرُ
تَبَوَّأَ مَمْنُوعَ القُلُوبِ وَمُهِّدَتْ لَهُ أَذْرُعٌ مَحْفُوفَةٌ وَنُحُورُ

(56) ابن زيدون،أبو الوليد أحمد بن عبد الله(2008م)، الديوان، شرح د. يوسف فرحات، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص53.

(57) قرنت: شدت بالحبال. الجرد العتاق: الخيول الكريمة. انظر: ابن زيدون،أبو الوليد أحمد بن عبد الله(2008م)، الديوان ، ص 53.

(58) القسطلي، ابن دراج(1961م)، الديوان، تحقيق: محمود علي مكي، ط1 دار المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ص 298، 299.

ويُرْوَى للحكم المستنصر أن له شعراً نظمه مُوَدِّعاً فيه زوجتَه، وهو متجه لمهمة عسكرية، ولحظة الوداع عنده هي الموت، فيتعجب كيف لم يمت! وكيف طاوعته يده منثنية معه بعد الوداع؟، فيبكي دماً وتتقطع كبده من لوعة الفراق، يقول[59]:

عَجِبْتُ، وَقَدْ وَدَّعْتُهَا كَيْفَ لَمْ أَمُتْ وَكَيْفَ انثَنَتْ بَعْدَ الوَدَاعِ يَدِي مَعِي

فَيَا مُقْلَتِي العَبْرَى عَلَيْهَا اسكُبِي دَماً وَيَا كَبِدِي الحَرَّى عَلَيْهَا تَقَطَّعِي

ومما سبق يتضح أن شعراء الأندلس قد ودعوا الركب المسافر إلى الشرق وحملوه السلام والتحايا، وودعوا الزوجة والمحبوبة، وقد صرح الأندلسيون في أشعارهم بلقاء الوداع للمحبوبة، ووصفوا حالة البكاء والحزن والخوف من الفراق وشماتة الوشاة وحالة الارتباك والاضطراب عند لحظة الوداع.

هـ . مشهد الوداع في شعرالدول المتتابعة:

لا شك أن معرفة زمان ومكان هذا العصر وموضوعات الشعر فيه تشكل ضرورة تقتضيها طبيعة البحث، وعصر الدول المتتابعة هو العهد الزنكي و العهد الأيوبي والعهد المملوكي والعهد العثماني. وموطن حكم هذه الدول هو بلاد الشام ومصر وبعض أرجاء الجزيرة العربية كالحجاز واليمن، وما كان خارج هذه البلاد في العصر العثماني لا يدخل في إطار البحث، لأن المراكز الثقافية والفكرية والأدبية الكبرى كانت في أرض الشام ومصر في الدرجة الأولى.

أما موضوعات الشعر في هذه العهود فلم تختلف عن موضوعات العصور السابقة، من مدح وهجاء وفخر وغزل ورثاء ووصف وشكوى وما إلى ذلك، وبجانب هذه الموضوعات التقليدية ظهرت موضوعات أخرى تتصل بسبب أو بآخر بما سبق من موضوعات وتتخذ لنفسها، في الوقت ذاته، مساراً مختلفاً له حدوده وقيوده، مما جعل المتأمل فيها يصفها بالجديدة المستحدثة، ومن هذه الموضوعات: المدائح النبوية

(59) التلمساني، الشيخ أحمد بن محمد المقري(1988م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ج1، ط دار صادر، بيروت، لبنان، ص395.

والاستغفار، والشعر الصوفي والتاريخ الشعري، والشعر التعليمي والأحاجي والألغاز، وشعر الحشيشة والنقد الاجتماعي.

ومشهد الوداعفي شعر هذاالعصر له مكانته عند الشعراء،فالبرعي اليماني هيَّج رَكْبُ الحجيج فؤادَه شوقاً إلى أرض الحجاز، فها هو يودِّعهم ويحملهم سلامه وتحياته إلى أهل الحجاز وإلى قبر النبي محمد . صلى الله عليه وسلم . فيصور ذلك المشهد قائلاً[60]:

يَا رَاحِلِينَ إِلَى مِنىً بِقِيَادِي هَيَّجْتُمُوا يَوْمَ الرَّحِيلِ فُؤَادِي
سِرْتُم وَسَارَ دَلِيلُكُم يَا وَحْشَتِي الشَّوْقُ أَقْلَقِنِي وَصَوْتُ الحَادِي
احرَمْتُمُوا جَفْنِي المنَامَ بِبُعْدِكُم يَا سَاكِنِينَ المُنْحَنَى وَالوَادِي
فَإِذَا وَصَلْتُم سَالِمِينَ فَبَلِّغُوا مِنِّي السَّلَامَ أُهَيْلَ ذَاكَ الوَادِي

وذكر الأبشيهي أن الشاعر محمد بن القاسم أبو الحسن الملقب" ماني الموسوس"، ودَّعته المحبوبة ببنانها ودموعها، ويؤكد حفاظه على العهد الذي بينه وبينها على الرغم من أنه لم يطق رحيلها قبل أن يودعها، ويرى أن أجله في ترحالها، يقول61:

لمَّا أَنَاخُوا، قُبَيْلَ الصُّبْحِ، عِيسَهُمُ وَثَوَّرُوهَا فَثَارَتْ بِالهَوَى الْإِبلُ
وَأَبْرَزَتْ مِنْ خِلَالِ السّجْفِ نَاظِرَهَا تَرْنُو إِلَيَّ وَدَمْعُ العَيْنِ يَنْهَمِلُ
وَوَدَّعَتْ بِبَنَانٍ خِلْتُهُ عَنَماً فَقُلْتُ: لَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ يَا جَمَلُ
وَيْلِي مِنَ البَيْنِ مُذْ حَلَّ بِي وَبِهَا مِنْ نَازِحِ الوَجْدِ حَلَّ البَيْنُ فَارْتَحَلُوا
يَا حَادِيَ العِيسِ عَرِّجْ كَيْ أُوَدِّعُهَا يَا حَادِيَ العِيسِ فِي تِرْحَالِكَ الأَجَلُ
إِنِّي عَلَى العَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُم، يَا لَيْتَ شِعْرِي بِطُوْلِ العَهْدِ مَا فَعَلُوا؟

(60) البرعي اليماني، عبد الرحيم أبو أحمد البرعي (1357هـ)، شرح ديوانه في المدائح الربانية النبوية الصوفية، كاتبه وملتزمه: عبد الرحمن محمد، ط المطبعة البهيَّة المصرية، مصر، الجامع الأزهر، ص 213.

(61) الأبشيهي، بهاء الدين (أو شهاب الدين) أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور(1419هـ)، المستطرف من كل فن مستظرف، ط عالم الكتب، بيروت، لبنان، ص289.

ومن الأيوبيات قصيدة الشاعر بهاء الدين زهير في مشهد وداعه لمحبوبته، التي جاءت تودّعه والدمع يغلبها حزناً لفراقه وخوفاً من شماتة الوشاة، فسارت عنه قليلاً وهي تلتفت، فوقفا يبكيان حزناً وألماً وحرقةً[62]:

جَاءَتْ تُوَدِّعُنِي وَالدَّمعُ يغلبُهَا يَومَ الرَّحيلِ وَحَادِي البَينِ مُنصَلِتُ
وَأَقبلَتْ وَهيَ فِي خَوفٍ وَفِي دَهَشٍ مِثل الغَزَالِ مِنَ الأَشْرَاكِ يَنْفَلِتُ
فَلَمْ تُطِقْ خيفَةَ الوَاشِي تُوَدِّعنِي وَيحَ الوُشَاة لَقَد قَالُوا وَقَد شَمِتُوا
وَقَفتُ أَبكِي وَرَاحَتْ وَهيَ بَاكِيَةٌ تَسِيرُ عَنِّي قَلِيلاً ثُمَّ تَلتَفِتُ
فَيَا فُؤَادِي كَمْ وَجدٍ وَكَم حُرَقٍ وَيَا زَمَانِيَ ذَا جَورٌ وَذَا عَنَتُ

وما سبق يؤكد أن لحظة الوداع كانت المحرك لوجدان شعراء العصور الوسطى، فقد نظموا الشعر في وداع الحجاج والأظعان والأهل والمحبوبة، ومشهد الوداع في شعرهم أتي عرضاً في أبيات محدودة وأحياناً في قصائد كاملة، إلا أنهم لا يختلفون عن سابقيهم في تصويرهم لمشهد الوداع، وحفظهم للود وتعلقهم بالعودة.

و . مشهد الوداع في شعر النهضة الحديثة:

وقبل أن نورد نماذج من شعر الوداع فلابد أن نحدد عصر النهضة الحديثة، فنقصد به العصر الذي يبدأ بقيام دولة محمد علي باشا في مصر، ثم بداية التأثر بالتيارات الثقافية الغربية الحديثة، وظهور مواقف عربية إزاء هذه التيارات، فمنها الرافض ومنها المتبني ومنها الذي يجاور ما بين الثقافة العربية والغربية، مما أدى لظهور مدارس جديدة عند العرب متأثرين فيها بالغرب كالمدرسة الكلاسيكية والمدرسة الرومانسية وغيرهما، وقد برز هذا الصراع بين القديم والجديد في العالم العربي عامة وفي مصر والعراق وبلاد الشام خاصة.وفي تناولنا لمشهد الوداع في عصر النهضة سنستشهد بأشعار الأعلام من شعراء مصر والعراق وبلاد الشام، لأن هذه الدول كانت سباقة في

(62) زهير، بهاء الدين (1964م)، الديوان، ط دار صادر ودار بيروت، لبنان، ص53.

الاحتكاك بالغرب، وكانت مراكز للحركة الأدبية والثقافية في العالم العربي، فضلاً عن وجود المجامع اللغوية والأدبية والعلمية فيها.

أما مشهد الوداع عند شعراء مصر فنجد أن لحظة الوداع عند شاعرنا إبراهيم ناجي عذاب لا يطاق، والحبيبة كالشمس التي غابت، وتركته يتساءل دون جواب، فيقول في قصيدته" الوداع"[63]:

أَزِفَ البَيْنُ وَقَدْ حَانَ الذِّهَابْ هَذِهِ اللَّحْظَةُ قُدَّتْ مِنْ عَذَابْ
أَزِفَ البَيْنُ، وَهَلْ كَانَ النَّوَى يَا حَبِيبِي غَيْرَ أَنْ أَغْلقَ بَابْ ؟!
مَضَتِ الشَّمْسُ فَأَمْسَيْتُ وَقَدْ أُغْلِقَتْ دُوْنِيَ أَبْوَابُ السَّحَابْ
وَتَلَفَّتُّ عَلَى آثَارِهَا أَسْأَلُ اللَّيْلَ! وَمَنْ لِي بِالجَوَابْ؟!

والشاعر أحمد رامي ينتظر قبلة الوداع، ونفسه تنازعه والدواعي تمنعه ودموعه تجري، والحبيبة تنظر إليه نظرة إشفاق، فيصور ذلك المشهد في قصيدته"ساعة الوداع"[64]:

قَلْبِي لَمْ يُبْقِ لِلتَّعَلُّلِ دَاعِ كُلُّ هَمِّي فِي قُبْلَةِ الوَدَاعِ
كَمْ تَوَهَّمْتُهَا عَلَى مَوْجِ ظَنِّي وَسَفِينُ الهَوَى بِغَيْرِ شِرَاعِ
كُلَّمَا جَادَ لِي الزَّمَانُ بِقُرْبٍ مَنَعَتْنِي مِنَ العِنَاقِ الدَّوَاعِي

وفي العراق يقف شاعرنا معروف الرصافي في الكرخ مودعاً أصحابه، فيبكي على فراقهم، ويقر بأنه جبان لا يحتمل الفراق على الرغم من شجاعته، فيقول [65]:

وَقَفْتُ غَدَاةَ البَيْنِ فِي الكَرْخِ وَقْفَةً لَهَا كَرَبَتْ نَفْسِي تَطِيرُ شَعَاعَا
أُوَدِّعُ أَصْحَابِي وَهُمْ مُحْدقُونَ بِي وَقَدْ ضِقْتُ بِالبَيْنِ المُشِتِّ ذِرَاعَا
أُوَدِّعُهُمْ فِي الكَرْخِ وَالطَّرْفُ مُرْسِلٌ إِلَى الجَانِبِ الشَّرْقِي مِنْهُ شُعَاعَا
وَأَدْعَمُ رَأْسِي بِالأَصَابِعِ مُطْرِقاً كَأَنَّ بِرَأْسِي يَا أُمَيْمُ صُدَاعَا

(63) ناجي، إبراهيم(1980م)، الديوان، ط دار العودة، بيروت، لبنان، ص36.
(64) رامي، أحمد(2000م)، الديوان، ط1 دار الشروق، القاهرة، مصر، ص151.
(65) الرصافي، معروف(1953م)، الديوان، ج1، ط4 دار الفكر العربي ومطبعة الاعتماد، القاهرة، مصر، ص127.

وَكُنْتُ أَظُنُّ البَيْنَ سَهْلاً فَمُذْ أَتَى شَرَى البَيْنُ مِنِّي مَا أَرَادَ وَبَاعَا

ولجميل صدقي الزهاوي قصيدة عنوانها"يوم الفراق" يودِّع فيها المحبوبة الوطن والوطن المحبوبة العراق متجهاً نحو مصر، فيبكيها وتبكيه حزناً على ما ألمَّ بهما، ويمجدها بكثرة عشاقها، فيقول[66]:

عَانَقَتْنِي لَيْلَى لِوشكِ الفِرَاقِ فَتَلَاقَتْ دُمُوعُنَا فِي العِنَاقِ
فِي أَصِيلٍ للشَّمْلِ فِيْهِ شَتَاتٌ لِدَوَاعٍ وَلِلدُّمُوعِ تَلَاقِي
لَوْ يَصِحُّ التَّشْبِيهُ قَلْتُ: دُمُوعِي يَتَبَادَرْنَ مِثْلُ خَيْلِ السِّبَاقِ
لَمْ أَكُنْ قَدْ عَشِقْتُ وَحْدِي لَيْلَى إِنَّ لَيْلَى كَثِيرَةُ العُشَاقِ

أما الوداع عند أهل الشام . وأخص منهم المهجريين فيمثل النقطة الفاصلة بين الوصل والهجرة أو الاغتراب، ولحظة التدفق العاطفي التي تسهم في تشكل وجدان الشعراء، وشعراء المهجر قد كُتِب عليهم ذلك المشهد وهو كُرهٌ لهم، وهذا شاعرنا الجنوبي إلياس فرحات يهرب من لحظات وداع المحبوبة، لما لها من وقع أليم على قلبه لا يستطيع تحمله، فيقول[(67)]:

أَتَبْسطُ رَاحَةً وَتَمدُّ بَاعاً كَأَنَّك تَسْتَطَيعُ لَها وَدَاعَا؟
وَقَلبكَ خَالَطَ النَّفَحاتِ فِيهَا فَلَو شَاءَ الوَدَاعَ لمَا استَطَاعَا
رُبُوعُ الشَّامِ يَا لَكِ مِن رُبُوعٍ تبَاهِي قِمَّةً وَتعِزُّ قَاعَا

ومن عادات أهل الشام عند المحبين في وداعهم، أن تعطي المحبوبةُ عشيقَها خصلة شعر، ليتذكرها بها، وإلياس فرحات يصور ذلك المشهد قائلاً[(68)]:

خُصْلَةُ الشَّعَرِ الَّتِي أَعطَيْتِنِيْهَا عِنْدِمَا البَيْنُ دَعَانِي بِالنَّفِيرْ

(66) الزهاوي، جميل صدقي(1924م)، الديوان، ط المطبعة العربية، القاهرة، مصر، ص 344.
(67) فرحات، إلياس(1976م)، مطلع الشتاء، ط مطبعة محمد عاطف وسيد طه، القاهرة، مصر، ص 99.
(68) رضا، محيي الدين(1961م)، بلاغة العرب في القرن العشرين، ط مطبعة الرحمانية، القاهرة، مصر، ص 158.

لَمْ أَزَلْ أَتلُو سُطُورَ الحُبِّ فِيهَا وَسَأتلُوهَا إِلَى اليَوْمِ الأَخِيرْ

وشاعرنا أبوماضي في قصيدته" وداع وشكوى" يخشى البين حتى قبل وقوعه، فيبكي مودعاً أصحابه يوم الفراق، ويعترف بأن يوم النوى هو من أقسى الأيام. وشاعرنا وأصحابه صامتون حيارى وأكبادهم تخفق ونظرات عيونهم الباكية هي اللغة المشتركة بينهم، إلا أنهم ولولا تعللهم باللقاء لحزنوا حزناً شديداً، بل يسلمون بالذي قدَّرَ البين يوماً ما سيجمعهم، يقول[69]:

أَزِفَ الرَّحِيلُ وَحَانَ أَنْ نَتَفَرَّقَا فَإِلَى اللِّقَا يَا صَاحِبَّي إِلَى اللِّقَا
إِنْ تَبْكِيَا فَلَقَدْ بَكَيْتُ مِنَ الأَسَى حَتَّى لَكِدْتُ بِأَدْمُعِي أَنْ أَغْرَقَا
وَتَسَعَّرَتْ عِنْدَ الوَدَاعِ أَضَالِعِي نَاراً خَشِيتُ بِحَرِّهَا أَنْ أُحْرَقَا
مَا زِلْتُ أَخْشَى البَيْنَ قَبْلَ وُقُوعِهِ حَتَّى غَدَوْتُ وَلَيْسَ لِي أَنْ أُفْرِقَا
يَوْم النَّوَى ، لله مَا أَقْسَى النَّوَى لَوْلَا النَّوَى مَا أبغضَتْ نَفْسِي البَقَا
رُحْنَا حَيَارَى صَامِتِينَ كَأَنَّما لِلْهَوْلِ نَحْذَرُ عِنْدَهُ أَنْ نَنْطِقَا
أَكْبَادُنَا خَفَّاقَةٌ وَعُيُونُنَا لَا تَسْتَطِيعُ ، مِنَ البُكَا، أَنْ تَرْمِقَا
نَتَجَاذَبُ النَّظَرَات وَهيَ ضَعِيفَةٌ وَنُغَالِبُ الأَنْفَاسَ كَيلَا تزْهَقَا
لَوْ لَمْ نُعَلِّلْ بِاللِّقَاءِ نُفُوسَنَا كَادَتْ مَعَ العَبَرَاتِ أَنْ تَتَدَفَّقَا
يَا صَاحِبي تَصَبَّرا فَلَرُبَّما عُدْنَا وَعَادَ الشَّمْلُ أَبْهَى رَوْنَقَا
إِنْ كَانَتِ الأَيَّامُ لَمْ تَرْفقْ بِنَا فَمِنَ النُّهَى بِنُفُوسِنَا أَنْ نَرْفقَا
إِنَّ الَّذِي قَدرَ القَطِيعَةَ وَالنَّوَى فِي وُسْعِهِ أَنْ يَجْمَعَ المتَفَرِّقَا..!

ويودع شاعرنا أبو الفضل الوليد سوريا وأهله، ولا يفوته أن يرنو إلى جبل (صنين) الأشم، ومدامعه تسيل تشوقاً وحنيناً لفراقه، ولا ينسى الشاعر بكاء أمه عند وداعها له وهي تفضِّل بقاءه في وطنه ؛ لأنها ترى أنه لم يُولَد لمثل هذه الصعاب، إلا أنه يصبرها بعودة القريبة، يقول[70]:

(69) أبو ماضي، إيليا(2004م)، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ط دار العودة، بيروت، لبنان، ص 510، 511.

(70) الوليد، أبو الفضل(1972م)، الديوان، ط دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 157.

أُوَدِّعُ سُورِيَا وَأُودِعُهَا الهوَى وكفِّي بِكَفَّي صَاحبٍ ونَسِيبِ
وَأَرنُو مشوقاً مِن خِلالِ مَدامِعِي إِلَى جَبلٍ بَادِي الصُّخور مَهِيبِ
وَيَومَ بَكَت أُمِّي الحَنُونُ وَرَاعهَا دنوُّ وَدَاعٍ كَالحمَامِ رَهِيبِ
وَقَالَت بِصَوتٍ خَافِتٍ مُتَهدّجٍ وَمِنهَا زَفِيرٌ لَاحِقٌ بِنَحِيبِ
بُنَيَّ يَمِين اللهِ هَل لَكَ عَودَةٌ وَدَاعُكَ هَذَا يَا بُنَيَّ مُذِيبِي
أَلَا أَنتَ بَاقٍ آمِناً فِي رُبُوعِنَا فَمِثلُكَ لَم يُولَد لِصَعبِ رُكُوبِ
فَقُلتُ لَهَا وَالجَفنُ يَكتُمُ عَبرَةً سَأَرجِعُ يَوماً فَاصبرِي وَثِقِي بِي

ومما تقدم نخلص إلى أن شعراء النهضة في مصر والعراق والشام . وخاصةً شعراء المهجر . كانوا أكثر تمسكاً بالمعاني الشرقية التي فطروا عليها في مشرقهم، فما تركوا لحظة من لحظات وداعهم إلا ووصفوها، شأنهم في ذلك شأن أسلافهم في وصفهم لذلك المشهد، فودعوا الوطن والأم والأهل والأزواج والمحبوبة، فمشهد الوداع أتى في شعرهم عرضاً وفي أبيات محدودة، بل وأفردوا له قصائد كاملة صوروا فيه مشهد الوداع وسموها باسم يحمل معنى الوداع، كقولهم:"يوم الفراق" و"عند الوداع"و"الوداع" وغير ذلك. وهذا يعكس تطور مفهوم مشهد الوداع عندهم حتى أصبح غرضاً شعرياً يحرك وجدان الشاعر، ويشكل مصدراً لإلهامه يعبر عنه تعبيراً ذاتياً صادقاً دون سواه في فقده لألّافه المكان والطبيعة والإنسان.

وهنا لابد أن نشير إلى أننا لو تتبَّعنا كل المراحل والعصور وحاولنا أن نجمع كلَّ ما قِيل في الوداع، لأخذ منَّا ذلك حيزاً كبيراً، وما قصدنا من إيراد هذه الشواهد الشعرية سوى الإشارة في هذا البحث، والتي خصصناها لشعر الوداع، وهذا ما يسهل لنا عملية اقتفاء أثر النقاد القدامى والمحدثين للتعرف على مواقفهم من هذا النوع من المعاني.

المبحث الثالث

مشهد الوداع في النقد الأدبي عند العرب

لا شك أن المجتمع العربي قد مرَّ بمراحل عديدة عبر مسيرته التاريخية إلى العصر الحديث، وتولَّدت عنها مفاهيم ثقافية ورؤى فكرية وأدبية مغايرة للمفاهيم القديمة. ونجد أن الكثير من المفاهيم والمعاني قد تعددت في الشعر العربي منذ عصوره الأولى، وتطورت تبعاً لاختلاف البيئات والظروف الاجتماعية والزمانية، والعوامل الإنسانية

والنفسية الخاصة بالأفراد، وهذه التطورات قد انعكست في آراء النقاد القدامى والمحدثين في إضافة أغراض جديدة إلى أبواب الشعر ومعانيه.

وكان ثعلب من أوائل الذين حددوا قواعد الشعر، وهي: أمر، ونهي، وخبر، واستخبار، وقال إنها تتفرَّع إلى مدح، وهجاء، ومراثٍ، واعتذار، وتشبيب، وتشبيه، واقتصاص أخبار[71]. وسار على خطاه قدامة بن جعفر في تحديده لأغراض الشعراء: (المديح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والنسيب)[72].

أما ابن وهب الكاتب فقد جمع فنون الشعر في أربعة أصناف هي: المديح والهجاء، والحكمة، واللهو. ويتفرع من هذه الأصول كثير من الفنون، فيكون من المديح: المراثي والافتخار والشكر واللطف في المسألة، ويكون من الهجاء: الذم، والعتب، والاستبطاء، والتأنيب، ويكون من الحكمة: الأمثال، والتزهيد، والمواعظ، ويكون من اللهو: الغزل، والطرد، وصفة الخمر، والمجون[73].

وأورد ابن رشيق القيرواني رأي علي بن عيسى الرماني في أن (أكثر ما تجري عليه أغراض الشعر خمسة: النسيب، والمدح والهجاء، والفخر والوصف، ويُدخِل التشبيه والاستعارة في باب الوصف...)[74].ويقول أبو هلال العسكري[75]: (وإنما كانت أقسام

(71) مطلوب، أحمد(1999م)، فصول في النقد، ط المجمع العلمي، بغداد، العراق، ص 38. نقلاً عن: ثعلب، أبي العباس(1948م)، قواعد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط مطبعة المصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ص28.

(72) ابن جعفر، قدامة(د.ت)، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص91.

(73) الكاتب، ابن وهب(1967م)، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط مطبعة العاني، بغداد، العراق، ص170.

(74) القيرواني، ابن رشيق(1981م)، العمدة، تحقيق: محمد محيي الدين،ج1، ط5 دار الجيل، بيروت، لبنان، ص120.

(75) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله(1994م)، ديوان المعاني، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص91

الشعر في الجاهلية خمسة: المديح والهجاء والوصف والتشبيه والمراثي، حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار، فأحسن فيه).

أما موضوع الوداع فنرى أن بعض النقاد القدامى قد أدخله في باب النسيب طالما أنهم ذكروا التشوق والتذكر، فقدامة بن جعفر يقول: (وقد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابَّة، والبروق اللامعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار الديار العافية، وأشخاص الأطلال الداثرة)[76].

وتصوير مشهد الوداع عند الشعراء ينبع من عاطفة ذاتية صادقة، ويدخل في أقسام المعاني التي لا نهاية لها وفقاً لتطور التجارب الإنسانية، إلا أن العلاقة الجدلية التي كانت بين المادح والممدوح، ووضع الشاعر الاجتماعي، وارتباط مصالحه بالطبقة الحاكمة، كان يفرض عليه وجود مثل هذه الرؤية القديمة للشعر، وهذا الفهم الخاص لدوره في المجتمع، (فلم يكن من المقبول والمستساغ أن يقصد الشاعر الممدوح ليسمعه أشجانه ولواعجه، أو ليحكي له عن حنينه إلى معاهد طفولته، أو غير ذلك مما يرتبط مباشرة بالعواطف الذاتية الخاصة بالشاعر)[77]. ولعل هذا ما يفسِّر لنا اهتمام النقاد المشارقة الأوائل بالتقعيد لأغراض كالمدح والوصف والغزل والهجاء والرثاء، وإغفالهم التقعيد لأغراض ومعانٍ أخرى كالوداع والغربة والحنين وغيرهم.

فإذا كان موقف نقادنا القدامى من الشعر وأغراضه مبرراً، فإن ما ليس مبرراً أن تستمر هذه النظرة إلى شعرنا المعاصر، وعدم الاهتمام بموضوع الوداع كمعنىً شعري إنساني من طرف نقادنا القدامى، يدخل في صميم نظرة نقدية معينة، وفهم خاص للشعر، لا ينفصل عن البنية الثقافية والحضارية والاقتصادية العامة . آنذاك . للمجتمع العربي بصفة عامة.

إلا أن حازم القرطاجني الأندلسي يرى أن (أحسن الأشياء التي تُعرَف، ويُتَأثَّرُ لها، أو يتأثَّر لها إذا عرفت، هي الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاذها، أو التألم منها،

(76) ابن جعفر، قدامة(د.ت)، نقد الشعر، ص 134.

(77) القيرواني، ابن رشيق(1981م)، العمدة، ج1، ص18.

أو ما وجد فيه الحالان من اللذة والألم...)[78]، وهنا تجدر الإشارة إلى ما في الوداع والفراق من حزن وتألم. ويؤكد القرطاجني الوجد والاشتياق عند فراق المنازل وألافها في قوله: (ولما كان أحق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق، والحنين إلى المنازل المألوفة وألافها عند فراقها، وتذكر عهودها، وعهودهم الحميدة فيها...)[79]، ويجعل لحظة الوداع والفراق والتشوُّق والحنين في المرتبة الأولى من أغراض الشعر التي سماها "الطرق الشاجية"، والمدح والنسيب والرثاء في المرتبة الثانية[80].

ولا شك أن حازم القرطاجني قد تفرَّد على سابقيه ومعاصريه من النقاد ومؤلفي الموسوعات والمجاميع الشعرية الذين انصب اهتمامهم بالجانب المطرب من الشعر، فاهتم بالنواحي الوجدانية والإنسانية والنفسية وما له علاقة طبيعية بها في تصنيفه للأغراض الشعرية،فقدم اللذة والألم والتشوق والحنين عند فراق المنازل المألوفة وألّافهاعلى سائر الأغراض الشعرية المألوفة.

أما في العصر الحديث فظهرت عدة مدارس يمكن حصرها في تيارين: تيار تقليدي، وآخر تجديدي. والتيار التقليدي تمثله مدرسة الإحياء والبعث. والتيار التجديدي تمثله جماعة الديوان ومدرسة المهجر وجماعة أبولو. وقد عمل رواد التيار التقليدي . الذي يمثله البارودي . على إحياء التراث العربي؛ أي بنية التعبير التقليدية ؛ لذلك نجد (أن موضوعات شعرهم قلما طرأ عليها تجديد، اللهم إلا ما تقتضيه خصائص العصر

(78) القرطاجني، حازم(1981م)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، ط2 دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص21.

(79)القرطاجني، حازم(1981م)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص249.

(80) المرجع السابق، ص11، 12.

العامة...)[81]. أما معانيهم فليس فيها جديد إلا النادر ومعظمها مأخوذة من الأدب العربي القديم أو من المعاني المتداولة [82].

أما مجال الشعر . عند أصحاب التيار التجديدي . فهو الشعور، سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة كشف فيها عن جانب من جوانب النفس، أو نَفَذَ من خلال تجربته الذاتية إلى الكون، أو مشكلة من مشكلات المجتمع، تتراءى من ثنايا شعوره وإحساسه[83]. والشاعر يستغرق في تجربته، والكشف عنها هو غايته. ونظرة الشاعر إلى جمهوره ثانوية، لأن عمله استجابة إلى شعوره قبل أن يكون تلبية لفكره[84]. وتجربة الشاعر لا تقتصر على الموضوعات ذات الدلالة على المشكلات والمسائل الاجتماعية، فللشاعر أن يستجيب للموضوعات الجمالية التي يراها، نفسية كانت أم طبيعية أم إنسانية. ولا سبيل إلى حصر موضوعات التجربة الشعرية[85]. وإن وضع أبواب يمكن أن نوزِّع عليها الشعر كله، قديمه وحديثه، وما يمكن أن يُستجَد منه، أمر غير مستطاع؛ ذلك أن الشعر يصدر عن الإنسان، والإنسان كائن معقد النفس، كثير التقلُّب، كثير العواطف[86].

والدائرة الغنائية لدى الشعراء العرب رحبة تتسع لكل ما يمكن أن يتغنى به الشاعر العربي سواء أكان شعره يحكي تجربة ذاتية شعورية، أم تغنياً بصورة من صور البطولة، أم إشادة بقيَم ومثُل، أم تصويراً لآثار ومعطيات الكون والحياة والناس.

(81) الدسوقي، عمر(1973م)، في الأدب الحديث، مج2، ط8 دار الفكر، القاهرة، مصر ،ص318.

(82) المرجع السابق، مج2، ص 319.

(83) هلال، محمد غنيمي(1987م)، النقد الأدبي الحديث، ط دار العودة، بيروت، لبنان،ص356.

(84) المرجع السابق، ص358.

(85) المرجع نفسه، ص370.

(86) الصيقل، محمد بن سليمان بن ناصر(2004م)، البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص485.

وأغراض الشعر العربي بشتَّى صنوفه تجتمع كلها في فن واحد هو الفن أو الشكل الغنائي الذاتي الوجداني.وإذا أدركنا ذلك، فلا مجال لأن نحاول حصر أغراض الشعر كما فعل ابن رشيق القيرواني والنقاد قبله ؛ لأن مجال الشعر واسع، وصور الشعور والعواطف وقضايا الحياة ومشكلاتها كثيرة متشعبة لا تقف مع الزمن عند حد، كما أن الشعراء والناس حول ذلك كله فئات ومنازل متفاوتة المشارب والأمزجة والخواطر والظروف والبيئات[87]. والشعر العربي الجديد يحاول أن يكون تجربة شاملة، وأن يكوِّن موقفاً من الإنسان والحياة والعالم [88].

ومدرسة الديوان التجديدية تدعو إلى الابتعاد عن التقليد في تصوير العواطف، وإلى توليد المعاني من أحداث الحياة، وإبراز الخواطر والتأملات(89). ولابد للشاعر أن يتَّخذ من الشعر الغنائي الطابع الوجداني سواء استمده الشاعر من الطبيعة أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية(90). وفي موضوعات الشعر يقول العقاد: (كل ما نخلع عليه إحساسنا، ونفيض عليه من خيالنا، ونتخيله بوعينا، ونبثُّ فيه من هواجسنا، وأحلامنا ومخاوفنا، هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة) (91).

أما مدرسة المهجر فقد كانت الثورة على موضوعات الشعر التقليدي من أول مبادئها، وخاصة المهجر الشمالي[92]. وهذا أمين الريحاني يقول: (حرِّروا صناعتكم من (قفا

(87) الصيقل، محمد بن سليمان بن ناصر(2004م)، البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة، ص483، 484.

(88) أدونيس، أحمد علي سعيد(1983م)، مقدمة للشعر العربي، ط4 دار العودة، بيروت، لبنان، ص130.

(89) خفاجي، محمد عبد المنعم(2001م)، حركات التجديد في الشعر الحديث، ط دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ص87.

(90) المرجع السابق، ص75.

(91)العمري، زينب عبد العزيز(1981م)، شعر العقاد، ط دار العلوم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص221.

(92) السراج، نادرة جميل(1989م)، شعراء الرابطة القلمية، ط3 دار المعارف، القاهرة، مصر، ص110.

نبك) و(سائق الأظعان) إن عندكم اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم)[93]، وفي أبواب الشعر يقول ميخائيل نعيمة (أبواب الشعر عندنا كثيرة واسعة، فمنها الغزل والنسيب، ومنها المديح والهجاء، ومنها العتاب والرثاء، والفخر والخمر. لكن هذه الأبواب قد أصبحت كذلك معرضاً للعروض والقوافي لا للشعر)[94]، و(إذ أن العواطف والأفكار هي كل ما نعرفه عن مظاهر النفس، فالشعر إذن هو لغة النفس، والشاعر هو ترجمان النفس)[95].

أما جماعة أبولو فمبادئها وأسسها ترمي إلى التحرر من سيطرة البنية التقليدية شكلاً ومضموناً، وتدعو إلى اعتماد العاطفة والخيال في التعبير عن مظاهر الحياة والكشف عن أسرارها. وذكر أدونيس أن أهم الملامح لهذه المدرسة التجديدية (جماعة أبولو)، الوجدانية والانحياز للطبيعة التي تختزن الأسرار والمجهول، وانحيازهم للخيال والتأمل، مع شيء من الصوفية والرمزية الفكرية أو الفلسفية[96].

ومما سبق يتضح أن الدائرة الغنائية الذاتية الوجدانية للشعر العربي في عصوره الأولى وإلى العصر الحديث قد توسعت وازدادت رحابة، والمعاني أصبحت لا حدود لها؛ لأن عواطف النفس الإنسانية تتجدد بتجدد الأيام والحياة، وما فيها من سرور وآلام وابتسامات ودموع، وضحكات وآهات. وعاطفة الشاعر لا تُقَيَّد بأغراض معينة، والشاعر يظهر شخصيته الفنية بتعبيره عن تجربته الذاتية، وتناوله لشتى الموضوعات الإنسانية. وإذا استعنا بآراء وأحكام النقاد القدامى والمحدثين، وتتبعنا مشهد الوداع في الشعر العربي على مر العصور نستطيع أن نحكم على ذاتية التجربة وإنسانيتها وصدقها، وأن نحدد انتماءها إلى باب الوجدانيات.

(93) الريحاني، أمين(1953م)، أنتم الشعراء، ط2 دار ريحاني، بيروت، لبنان، ص90.
(94) نعيمة، ميخائيل(1991م)، الغربال، ط15 مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ص121.
(95) المصدر السابق، ص115.
(96) أدونيس، أحمد علي سعيد(2002م)،الثابت والمتحول، ج4، ط8 دار الساقي، بيروت، لبنان، ص 103.

الخاتمة:

قبل أن نبدأ باستخلاص نتائج البحث، استحسنا أن نعرض الخطة التي اتبعناها فيه بطريقة موضوعية مبسطة، ثم ندوِّن ما توصل إليه البحث من نتائج واقتراحات.

فقد بدأنا هذا البحث بمقدمة ضمناها عنوان البحث، وتناولنا فيها أهمية البحث في هذا الموضوع، وأهداف البحث، والمنهج الذي اتبعناه فيه، والدراسات السابقة، وأهم المصادر والمراجع، والصعوبات التي واجهتنا. وفي الفصل الأول تناولنا مشهد الوداع لغةً واصطلاحاً، ثم أوردنا . في الفصل الثاني . العديد من النماذج الشعرية لمشهد الوداع من العصر الجاهلي وإلى عصر النهضة الحديثة. وفي الفصل الثالث تناولنا مشهد الوداع في النقد الأدبي العربي القديم والجديد إلى عصر النهضة.

أما النتائج التي توصَّل إليها البحث فأبرزها:

- إن مشهد الوداع قد تطور وفقاً للتطورات التي عاشها الإنسان العربي في كل عصر.
- مشهد الوداع في العصور القديمة يأتي عرضاً ومندساً في أغراض الشعر المتعارف عليها وفي أبيات قليلة، أما في عصر الدول المتتابعة وعصر النهضة فيأتي مستقلاً و في قصيدة كاملة يحمل عنوانها اسم الوداع أو معناه.
- إن شعر الوداع في كل العصور، يشكِّل مادة تسترعي الانتباه، وتحتاج إلى رؤية نقدية تؤسِّس لهذا الغرض الإنساني، وتضيف معنىً جديداً إلى معاني الأدب العربي.
- لمشهد الوداع صورة نفسية شديدة الأثر على الطرفين، نجدها في الحزن والقلق والخوف والارتباك والتشاؤم في لحظة الوداع.
- لمشهد الوداع صورة حسية تتمثل في إشارات الوداع: التلويح باليد وبالأصابع، ولغة العيون. وتتمثل أيضاً في لقاء الوداع والعناق وقبلة الوداع عند المحبين.

- مشهد وداع الشاعر لوطنه أو مدينته أو قريته يؤكد قوة ارتباطه الوجداني بالمكان الذي نشأ وترعرع فيه وسط أهله وأقرانه وأصحابه، أو له في وثاق روحي، أو له فيه من المواقف ما يستحق التألم عند فراقه.
- أمل العودة والتعهد بحفظ الود عند الطرفين يشكلان حب الحياة والتمسك بأسبابها على الرغم من حتمية الفراق وضرورته، والتوسل والرجاء عند الطرفين.

أما الجديد الذي قدَّمه هذا البحث للأدب العربي فهو تسليط الضوء على مشهد الوداع في الشعر العربي في عصوره المختلفة، والتقعيد له لأن يضاف إلى أغراض الشعر وأبوابه التي تعبِّر عن الوجدان الذاتي للشاعر.

ومن خلال ما اطَّلعت عليه من مصادر ومراجع أثناء دراستي لمشهد الوداع، فقد اتَّضح لي أن هنالك العديد من القضايا والموضوعات في الشعر العربي تستحق أن تكون موضع بحث ودراسة، فمنها:

1/ العفَّة في شعر الغزل في العصور الأدبية المختلفة.

2/ الوَصْلُ والهَجْرُ في الشعر العربي.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الأبشيهي، بهاء الدين (أو شهاب الدين) أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور(1419هـ)، **المستطرف من كل فن مستظرف**، ط عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- ابن جعفر، قدامة(د.ت)، **نقد الشعر**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن ذريح، قيس(2004م)، الديوان، ط2 دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ابن زيدون،أبو الوليد أحمد بن عبد الله(2008م)،**الديوان**، شرح د. يوسف فرحات، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب(1414هـ)**، ج3، ط3 دار صادر، بيروت لبنان.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري(1955م)، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ الشلبي، ج2، ط2 شركة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.
- أبو العزم، عبد الغني(2013م)، **المعجم الغني** (معجم إلكتروني).
- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد(2008م)،**الأغاني**، تحقيق: د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين وأ. بكري عباس، ط8 دار صادر، بيروت، لبنان.
- أبو ماضي، إيليا(2004م)، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ج3، ط دار العودة، بيروت، لبنان.
- أدونيس، أحمد علي سعيد(1983م)، **مقدمة للشعر العربي**، ط4 دار العودة، بيروت، لبنان.

(2002م)،**الثابت والمتحول**، ج4، ط8 دار الساقي، بيروت، لبنان.

- امرؤ القيس، حُنْدُج بن حُجُر(2004م)، **الديوان**، ط2 دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- أنيس، إبراهيم، وآخرون(2004م)، **المعجم الوسيط**، ط4 مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر.
- البرعي اليماني، عبد الرحيم أبو أحمد البرعي(1357هـ)، **شرح ديوانه في المدائح الربانية النبوية الصوفية**، كاتبه وملتزمه: عبد الرحمن محمد، ط المطبعة البهيَّة المصرية، مصر، الجامع الأزهر.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة(2000م)، سنن الترمذي، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- التلمساني، الشيخ أحمد بن محمد المقري(1988م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، ج1، ط دار صادر، بيروت، لبنان.
- ثعلب،أبي العباس(1948م)، **قواعد الشعر**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط مطبعة المصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر(1982م)،**الرسائل** ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الرائد، بيروت، لبنان.
- الجبوري، يحيى(1981م)، **شعرعروة بن أذينة**، ط2 دار القلم، الكويت.

(2008م)، **الحنين والغربة في الشعر العربي**، ط1 دار مجدلاوي، عمان، الأردن.

- جميل بثينة، جميل بن عبد الله بن معمر العذري(1982م)، **الديوان**، ط دار بيروت، بيروت، لبنان.
- الحتِّي، حنا نصر(2003م)، **قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها**، ط2 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الحمداني، أبو فراس الحمداني(2007م)، **الديوان**، شرح : د. خليل الدويهي، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني (1992م)، **شرح ديوان عنترة**، ط1 دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- خفاجي، محمد عبد المنعم(2001م)، **حركات التجديد في الشعر الحديث**، ط دار الوفاء، الإسكندرية، مصر.
- الدسوقي، عمر(1973م)، **في الأدب الحديث**، مج2، ط8 دار الفكر، القاهرة، مصر.
- ديك الجن الحمصي، عبد السلام بن رغبان (2004م)،**الديوان**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(1996م)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: نذير حمدان، ج8، ط11 مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(1999م)،**مختار الصحاح**، ط مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.
- رامي، أحمد(2000م)، **الديوان**، ط1 دار الشروق، القاهرة، مصر.
- الرصافي، معروف(1953م)، **الديوان**، ج1، ط4 دار الفكر العربي ومطبعة الاعتماد، القاهرة، مصر.
- رضا، محيي الدين(1961م)، **بلاغة العرب في القرن العشرين**، ط مطبعة الرحمانية، القاهرة، مصر.
- الريحاني، أمين(1953م)، **أنتم الشعراء**، ط2 دار ريحاني، بيروت، لبنان.
- الزهاوي، جميل صدقي(1924م)، **الديوان**، ط المطبعة العربية، القاهرة، مصر.
- زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث(2005م)، **الديوان**، ط2 دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- زهير، بهاء الدين(1964م)، **الديوان**، ط دار صادر ودار بيروت، لبنان.
- السراج، نادرة جميل(1989م)، **شعراء الرابطة القلمية**، ط3 دار المعارف، القاهرة، مصر.

- سعود، جبران(1992م)، **معجم الرائد**، ط7 دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- السويدي، فاطمة محمد(1997م)، **الاغتراب في الشعر الأموي**، ط مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.
- الشريف الرضي، أبوالحسن محمد بن الحسين بن موسى (1310هـ)، **الديوان**، ج1، ط مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.
- الشنقيطي، أحمد بن الأمين (2002م)، **شرح المعلقات العشر**، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- الصيقل، محمد بن سليمان بن ناصر(2004م)، **البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة**، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- العاملي، بهاء الدين(د.ت)، الكشكول، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
- عبد الجواد، رجب(2002م)، **معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير**، ط1 دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله(1994م)، **ديوان المعاني**، ج1، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- عمر، أحمد مختار(2008م)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج2، ط1 دار الكتب، القاهرة، مصر.
- العمري، زينب عبد العزيز(1981م)، **شعر العقاد**، ط دار العلوم، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- فرحات، إلياس(1976م)، **مطلع الشتاء**، ط مطبعة محمد عاطف وسيد طه، القاهرة، مصر.
- القرطاجني، حازم(1981م)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد

الحبيب بلخوجة، ط2 دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- القسطلي، ابن دراج(1961م)، **الديوان**، تحقيق: محمود علي مكي، ط1 دار المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا.
- القيرواني، ابن رشيق(1981م)، **العمدة**، تحقيق: محمد محيي الدين،ج1، ط5 دار الجيل، بيروت، لبنان.
- الكاتب، ابن وهب(1967م)، **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط مطبعة العاني، بغداد، العراق.
- المتنبي،أحمدُ بن الحسين (1983م)، **الديوان**، ط دار بيروت، لبنان.
- مطلوب، أحمد(1999م)، **فصول في النقد**، ط المجمع العلمي، بغداد، العراق.
- المعري، أبو العلاء(1957م)، **سقط الزند**، ط دار صادر ودار بيروت، بيروت، لبنان.
- النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب(2005م)،**الديوان**، ط2 دار المعرفة، بيروت، لبان.
- ناجي، إبراهيم (1980م)، **الديوان**، ط دار العودة، بيروت، لبنان.
- نعيمة، ميخائيل(1991م)، **الغربال**، ط15 مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان.
- هلال، محمد غنيمي (1987م)، النقد الأدبي الحديث، ط دار العودة، بيروت، لبنان.
- الوليد، أبو الفضل (1972م)، **الديوان**، ط دار الثقافة، بيروت، لبنان.